المسلَّمات الحوارية وأبعادها في الخطابات الشعرية

أ.مختار حسيني
مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة.
الأغواط، الجزائر

ملخص:

يطرح البحث إشكالية أساسية هي الأبعاد التواصلية وملامحها في الخطاب الأدبي عموما والخطاب الشعري على وجه الخصوص من منظور المقاربة التداولية للخطابات الأدبية، وأين يكمن معنى الملفوظ؟ هل في ذاته أو مع المتكلم؟ وهل للمتلقي دور في إعادة بناء المعنى لحظة تلقي الملفوظ؟ وكيف تتحقق هذه المفاهيم النظرية ممارسة وإجراء؟

وأما عن الأهداف فإن هذه الدراسة تسعى إلى: بحث المستوى التخاطبي في المدونة، وتواصليتها وما يتعلق بها من قواعد تخاطبية وما ينشأ عن خرقها من استلزامات خطابية.

بدأنا بحثنا بتواصلية الخطاب الشعري، عبر التعرف على "قوانين الخطاب" انطلاقا من "غرايس" باعتبار مسلماته الحوارية قواعد منظمة للخطاب في مستوييه المباشر والاستلزامي. وإن كان المتكلّم قد وظّفها باحترامها فقد وظفناها نحن في التأويل، حين يخرق المتكلّم إحدى قواعدها، مع احترام المبدأ العام "مبدأ التعاون". ساعدنا في ذلك بحث المنطوق فيها والمقتضى والمفهوم المتعلق بالمعاني المضمرة في الملفوظات. وعدم الاقتصار على المبادئ العامة التي تتحكم في الخطاب وتجاوزها إلى القوانين الخاصة التي تتعلق بمحتوى الخطاب، وبالسلوك الاجتماعي

المنارة للاستشارات
www.mar

والتفاعل الخطابي. وقد اتخذنا التأويل وسيلة لتجاوز المعاني المباشرة للخطاب إلى المعاني غير المباشرة مستغلين كفاءتنا المتواضعة كمخاطَبين.

Abstract:

The research poses a fundamental problem which is communicative dimensions and its features in the literary discourse in general and poetic discourse in particular; from the approach of perspective of the literary discourse circulation, and where the meaning ejected lies? Is it itself or with the speaker? Do the recipients have a role in the reconstruction of the meaning at the moment of receiving the ejected? And how these theoretical concepts materialize practice and procedure?

As for the goals, this study seeks to: Search the level of discourse in the Entries, and its continuity and related rules of discourse and what would result in breaching it, of an obligatory Rhetoric.

We started our search with continuity of the poetic discourse, through the identification of "speech laws" from "Grace" as postulates discourses rules of an organization of the speech in its the direct and obligatory levels . Though the speaker had employed it in way that respect it and we have employed it in a way of interpretation, while the speaker violates one of the rules, while respecting the general principle of "the principle of cooperation". «It helped us in that search the verbal in it and the appropriate, the concept of the meanings implied in the ejected. And not limited to the general principles that control speech and overcome it to the special laws that is related to the content of the speech, social behaviour and rhetorical interaction. We have taken the interpretation and means to bypass the direct meanings of the speech to indirect meanings, taking advantage of our modest efficiency as Interlocutors.

تمهيد:

استفادت المناهج النقدية في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي من مجموعة من النظريات والأبحاث اللغوية، أثناء مرحلة الحداثة وما بعد الحداثة، وخرجت بتشكيلاتها النظرية إلى مجال النقد والخطاب الأدبيين، وأهم ما انفتح عليه النص الأدبي هو المقاربة التداولية، حينما تم تبني فكرة اعتبار النص الأدبي خطابا، حتى وإن لم تتجلى فيه العناصر الخطابية، مثلما هو عليه الخطاب

المنارة للاستشارات
www.mar

اليومي الذي قامت على دراسته التداوليةُ بادئ الأمر، ليتم في هذه المدرسة استغلال بعض المفاهيم التداولية، وإعادة صياغتها بما يتلاءم والنص الأدبي، وما يتميز به من خصائص عن الخطاب العادي، وأنشأت لها توجُّها خاصا يشترك مع مناهج أخرى في كثير من الأشياء ويختلف عنها في أخرى، وأهم ما يمكن التأكيد عليه هو أن تلك الصياغات الجديدة التي تتلاءم وخصوصية الخطاب الأدبي هي ما جعل المنهج النقدي التداولي مدرسة قائمة بذاتها، متحت من اللسانيات التداولية مباحثها اللغوية، والتلفظية، والحجاجية، والتخاطبية.

يقول جان سيرفوني في كتاب الملفوظية في عنصر اللسان والعلاقات البَيْذاتّية INTERSUBJECTIFS: (كتاب أ. ديكرو الموسوم القول واللاقول DIRE ET NE PAS DIRE يبدأ برفض المفهوم القائل: إن اللسان LANGUE يُستخدم للتواصل بالمعنى الضيق للعبارة، أي لنقل المعلومة. حينما أطرَحُ سؤالاً، فإنني أقوم بشيء آخر غير إعلام المتلقي عن رغبتي بالمعرفة: وهو أنني أدشِّنُ أمامَهُ وجوبَ الإجابة، وأعطيه دوراً في الوقت الذي أختار لنفسي فيه واحداً، وحينما أطلقُ أمراً، أو وعداً أو إذناً/ الخ/ فإن اللسان، كما يرى ديكرو، ينطوي بذاته (على قائمة CATALOGUE) من العلاقات البَيْبَشَرَيّة، وعلى مجموعة من الأدوار)، (أي على جهازٍ كاملٍ من الاتفاقيات والقوانين) التي تنظّم (نقاش الأفراد)، والأدوار الاتفاقيّة المعينة ليست سوى القول الفاعل عند أوستين)([1]) ممَّا يعني أن التفسير اللساني للنص يقوم على أساس شكلي، في حين يقوم التفسير التواصلي على المظاهر الاتصالية للغة، بالإحالة على المرسل أو المتكلم، ليتعلق المعنى لا بالبنية الشكلية للغة وحدها، ولكن أيضا بالسياق الذي قيلت فيه.

ونعني بالتواصل في الخطاب الشعري دراسة النص الشعري في علاقته بالسياق التكويني الذي أنتج فيه وسياق التلقي الذي يقرأ فيه، لتتجاوز التداولية بذلك اعتماد البنية اللغوية للخطاب الأدبي وما تسفر عنه من دلالة إلى الرسالة والسياق والعلاقة بين المبدع والمتلقي ضمن

المنارة للاستشارات
www.mar

سياق له خصوصيته التفاعلية، وهو توجه أو منهجية تدرس الجانب الوظيفي والاستعمالي والسياقي في النص أو الخطاب. وتدرس المعنى من خلال التركيز على علاقة العلامات بمستعمليها، أكثر من اهتمامها بالحقيقة أو بالتركيب، وتهتم أيضا بالمرجع والإحالة التي تم إقصاؤها من طرف فرديناند دوسوسير، الذي قصر العلامة على الدال والمدلول، ومن ثم تدرس اللغة العادية واللغة الأدبية (الشعرية والروائية والدرامية ...) على حد سواء. ويرفض هذا التوجه - في مجال الأدب والنقد - التركيز على البنيات الشكلية والجمالية دون مساءلة أفعال الكلام والمقصدية الوظيفية وحضور الأنا والأنت في النص([2]) ويتجاوز – بدايةً- الجملةَ إلى الخطاب، وأن (اللغة هي أقوال تتحول إلى أفعال مختلفة باختلاف السياقات التي ترد فيها)([3]) فيتعامل مع القصيدة بوصفها خطابا ووحدة عضوية يسودها الاتساق والانسجام كما عند "فان دايك" الذي يعتبر النص جملة نصية كبرى وفعلا كلاميا أكبر Macro acte de langage.

لم يعد تحليل الخطاب الشعري على أساس المؤشرات اللغوية إلا جزءاً من عملية التحليل، بل وأصبحت محاولة الكشف عن خواص السياقات وعن الأفعال الكلامية وترابطها في المواقف (الأساس لإنجاز المنطوقات، وفهمها في سياقات تواصلية معينة)([4]). ليتم التعامل مع النص الشعري كخطاب يتميز بالوحدة العضوية، وكفعل كلامي واحد، مترابط داخليا، مرتبط خارجيا بسياقه التداولي وبمقصدية المتكلم، ويدخل في الآن ذاته في إطار أكبر هو تداخل الخطابات Interdiscours. ومن ثم لم تعد (مسارات الاستنتاج المرتبطة بتأويل العبارات[...] خاصة بالشفرة اللغوية فقط، وإنما تستند إلى قدرات معرفية عامة غير خاصة باللغة)([5]) ترتبط بالعملية التواصلية برمتها.

والجدير بالتنويه أن دعاة الاعتداد بالسياق في دراسة المعنى أكَّدوا على عدم الارتباط الشرطي بين التركيب النحوي للملفوظ وما يحققه من حدث كلامي، وأن الأدبية، أو الشعرية (ليست خصيصة في الأشياء ذاتها، بل في تموضع الأشياء في فضاء من العلاقات. بدقة أكبر:

المنارة للاستشارات
www.mar

لا شيء يمتلك الشعرية، ما هو شعري هو الفضاء الذي يتموضع بين الأشياء، فبدلا من أن يكون النص شعريا، يصبح السياق التداولي هو الشعري([6])، وبهذا يكون حتى (الانزياح الدلالي الذي ركزت عليه الدراسات الأسلوبية والشكلية كمعطى جمالي لمسي ليس خصيصة داخلية في النص. فتحديد جمالية النص يخضع لمعايرة ذوقية ذات مرجعيات اجتماعية وثقافية وفردية، وهذه المعيارية تتشكل في كل عصر بشكل مختلف([7])، لتتحقق بذلك العودة الى السياق واعتباره عنصرا فاعلا في تحليل النصوص بعدما تم استبعاده من النظرية النقدية ردحا من الزمن.

أما مسألة المقام غير المشترك بين المبدع والمتلقي، ومسألة غياب سياق إنتاج النص الأدبي عن المتلقي، ومسألة التعرف عليه، فإن الانفصال الحسي بين الباث والمتلقي تكاد هوَّتُه تطمر ويتلاشى وجودها على مستوى بناء معنى الملفوظ وإعادة بنائه، لأن كلا من الباث والمخاطَب يبذلان جهدا في أن يحل أحدُهما محلَّ الآخر، فكل مرسل مستقبل لذاته، (وكل متلق هو في ذات الوقت مرسل بالقوة، وتتأسس في كفاءتهما الثقافية صورة عنهما بوصفهما شريكين في العملية التواصلية)([8]) والنص الأدبي اليوم (لم يعد علامات وبنيات داخلية مغلقة، كما كانت تقول البنيوية اللسانية والسيميائيات، بل النص الأدبي بنية ودلالة وتركيب ووظيفة سياقية قبل كل شيء، لذا لابد من مراعاة السياق والوظيفة في تحليل النصوص والخطابات الأدبية، ولاسيما الشعرية منها)([9]) رغم خصوصيتها في ذاتها وفي سياقاتها.

قوانين التخاطب:

انطلاقا من المبدأ التداولي القائل بأن تحليل الخطاب هو (تحليل استعمال اللغة)([10]) وانطلاقا من اعتبار الشعر خطابا موجها من شاعر مخاطِب إلى قارئ مخاطَب، لنقْل تجربة أو إحداث أثر، وبوجود مسلمة ثالثة نلتزم إطارها كمحلِّلين؛ هي خصوصية الخطاب الشعري سواء في تمرده عن كثير من قواعد التخاطب اليومي، والتي نعدُّها خصوصية للشعر تضفي عليه مسحة

المنارة للاستشارات
www.mar

التفرد دون أن تخرجه من إطار الخطابات، أو في خلوّه – غالبا - من الطابع الحواري خلافا للخطاب السردي، والذي يجعل منه - باصطلاح محللي الخطاب - خطابا أحادي الكلام أو مونولوجيا (Monologal) بتعبير "أوريكيوني" صادرا عن متكلم واحد([11]) بمعنى أنه لا يستدعي جوابا أو تداولا حواريا بين طرفي الخطاب.

انطلاقا من تلك المعطيات نعتقد أن الخطاب الشعري تخاطب وإنْ خلا من الحوارات الصريحة، وأن التحليل التخاطبي للشعر من شأنه إضاءة كثير من الجوانب التي لم تطرقها مناهج التحليل الأخرى، وأن العلاقات التخاطبية هي من صميم الشعر، لتعلقها أساسا بمقاصد الشاعر وباستراتيجيته الخطابية.

إن تخصص تحليل الخطاب في توجهه التداولي يتجاوز الاكتفاء بالتحليل اللغوي للنص أو التحليل النفسي أو الاجتماعي لمحتويات النصوص إلى تحليلها في إطار اجتماعي بعينه، وبإسهام العلوم الإنسانية مدمجة، ولذلك نجد تحليل الخطاب يقف (في مفترق طرق العلوم الإنسانية[...] ذلك أنه يوجد محللون للخطاب هم بالأحرى علماء اجتماع، وآخرون هم بالأحرى لسانيون، والبعض الآخر علماء نفس) ([12]) وعلى هذا الأساس سنعمل في هذا المستوى من التحليل على عدم الاكتفاء بتحليل الملفوظات بناء على مكوناتها اللغوية، وسنتجاوز ذلك إلى مقاربتها في إطار سياقي ينظر فيه إلى العناصر اللسانية ضمن تفاعلها مع العناصر الخارج لسانية Extra-linguistipueوالذي تعتبر فيه العلاقة بين طرفي الخطاب من أهم آليات التحليل التي يُتوسل بها إلى القصدية في الخطاب.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا السياق أننا اعتمدنا في دراستنا تسمية "ديـكرو" أي "قوانين الخطـاب" والتي اعتمدها "دومنيك منغينو" فيما بعد([13]) ولها تسميات أخرى مثل قواعد التخاطب والمسلمات الحوارية. وتتعلق عند غرايس بما أسماه مبدأ التعاون Principe de coopération الذي يفرض على المشاركين في الحوار احترام قواعد يقوم عليها كل تفاعل

المنارة للاستشارات
www.mar

لغوي، ويتحقق عبرها نجاح الخطاب، أسماها قوانين أو قواعد حوارية Maximes conversationnelles وسنعتمد – إجرائيا – على ما صاغه عالمان اثنان من قواعد، هما: "بول غرايس"؛ باعتباره أول من صاغ المبدأ، وكلُّ من جاء بعده إنما توسع فيه أو أعاد صياغته أو أحدث فيه شيئا من التعديلات([14])، والثاني هو: "دومنيك منغينو"؛ خاصة في كتابه: "تداولية الخطاب الأدبي" (Pragmatique pour le discours littéraire) نظرا لأهمية الصياغة، ولأن قوانين "غرايس" هي قواعد حوارية بالأساس، رامت نمذجة جميع أنواع الخطابات، واستيعاب مكوناتها اللسانية وغير اللسانية، ولها فضل السبق في هذا المجال. أما قوانين "منغينو" فهي قوانين عامة وخاصة في نفس الوقت، تنزع نحو النظرة التكاملية لاستدراك النقائص في جميع ما صيغ من قواعد قبلها، كما أنها تستهدف النص الأدبي بوجه خاص. وبهذين النموذجين نكون قد تعرّفنا على أهم بدايات التنظير للظاهرة وأهم ما وصلت إليه([15]) وفي ذات الوقت سنعمل على دعم التحليل بما صاغه ديكرو من تصنيف لمستويات الخطاب([16]) في كتابه: « Le dire et le dit »

أ- قواعد "بول غرايس" أو المسلمات الحوارية Maximes conversationnelles:

إن التفاعل اللغوي باعتباره سلوكا اجتماعيا يخضع لجملة من القواعد يعمل المتخاطبون على احترامها لأجل إنجاح عملية التواصل وبلوغ التواصل اللغوي مداه، وقواعد "غرايس" قواعد منظمة للخطاب بوجه عام (في مستوييه المباشر أو الحرفي (littéral)، وغير الحرفي أو الاستلزامي (implicatif))([17]) وقد لخصها في أربع قواعد (Maximes) هي: الكم، الكيف، الجهة والملاءمة:

01 – مسلمة القدر (Quantité): وتقضي بأن تكون كمّيّة ما يُساهم به المتكلّم في المحادثة محدودة وكافية لا تزيد ولا تنقُص عمَّا يقتضيه المقام، وتلخّصها مقولتان:

أ – اجعل مشاركتك تفيد القدر المطلوب من الإخبار.

المنارة للاستشارات
www.mar

ب – لا تجعل مشاركتك تفيد أكثر ممّا هو مطلوب.

02 – مسلمة الكيف (Qualité): أو النَّوع في بعض التَّرجمات، وتقوم على افتراض نزاهة المتكلّم، فلا يكذب ولا يتكلّم بما لا يستطيع إثباته، وتلخّص هذه المسلمة مقولتان:

أ – لا تقل ما تعتقد أنَّه كذب.

ب – لا تقل ما لا تستطيع البرهنة على صدقه.

03 – مسلمة الملاءمة (Pertinence) أو المناسبة: وتقتضي من المتكلّم أن يكون كلامه ملائماً أو مناسباً لموضوع المحادثة، يَقول أشياء مفيدة للتّفاعل، أشياء لها علاقة بالمحادثة([18]) وتلخّصها قاعدة واحدة:

- لتكن مشاركتك ملائمة.

04 – مسلمة الجهة (Modalité): وتقضي بأن يكون المتكلّم واضحاً في كلامه، موجزاً له، مرتّباً إيَّاه قدر الإمكان، وتلخّصها ثلاث قواعد:

أ – ابتعد عن اللبس.

ب – تحرَّ الإيجاز.

ج – تحرَّ التَّرتيب.

إن قواعد التخاطب ليست مجرَّد معايير يلتزمها المتخاطبون ويتّبعُونها فحسب (بل تُمثّل ما ينتظرونه من مخاطبيهم، فهي مبادئ تأويل أكثر من كونها قواعد معياريَّة أو قواعد سلوك) ([19]) ليتمَّ بذلك توظيف هذه القواعد من المتكلّم والمتلقي معاً، فالمتكلّم يوظّفها باحترامها والمتلقّي يوظّفها في التأويل حين يخرق المتكلّم إحدى قواعدها.

المنارة للاستشارات
www.mar

وتظهر قاعدة الكم في الشعر بوضوح، وقد تخترق من باب أنه يعبَّر بالشعر إيجازا عما يعبر عنه بالنثر الكثير، إذ الشعر إلماح وإلماع وتساؤل.

أما قاعدة الجهة: فاحترامها يؤدي إلى نجاح الخطاب الشعري ونفوذه وتأثيره في المستمع، ومن ثم إحداث التفاعل المرغوب. وحتى في الشعر العربي المعاصر فيما ذهب إليه أنصار التواصل مع الجمهور ومنهم نزار قباني، نجدهم أحرص الشعراء على تحقيق هذه القاعدة، بل حتى بالنسبة لما فيه تعبير عن الذات وعن التجربة الفردية للشاعر فيها نقل لتلك التجربة عبر تحقيق قاعدة الجهة، وإلا كان الخلل، وضعفت الشحنة الشعرية في الخطاب.

أما قاعدة الكيف: فإن إنجاح التواصل وتحقيق التفاعل الخطابي بين المتخاطبين يقتضي احترام الباث لمبدأ التعاون، مما يجعل المخاطَب يفترض صدق ما يقوله الباث أثناء عملية تأويله وتعرفه على مقاصد المتكلم، وإن حدث تكسيرٌ لهذه القاعدة افترض لها المخاطَب تأويلا يعيد الملاءمة للملفوظ. وعليه يمكننا القول إن (عملية التخاطب في النص الشعري عملية معقدة متشابكة الأطراف، تتعلق بجانب متحقق داخل النص أو خارجه، وجانب افتراضي يحتاج معه إلى قارئ حذق يخرج النص من الموجود بالقوة إلى الموجود بالفعل، ويتم هذا عبر الأنظمة التواصلية الشعرية التي تجمع بين الإيقاع والتخييل، يرتبط هذا النظام بقنوات التواصل الكتابية والشفاهية ارتباطا تداوليا) ([20])

أما عن قاعدة الملاءمة؛ فهي مبدأ مهم في تحليل الخطاب لذلك نجد من الباحثين من خصه وحده بالبحث مثل "دان سبربر" Dan Sperber و"ديردر ولسن" Deirdre Wilson اللذين سميا به نظريتهما (نظرية الملاءمة)، ويتعلق بملاءمة الملفوظ لمقام التلفظ خاصة عناصر الزمان والمكان والمتلفظ المشارك، وإذا كان "غرايس" قد جعل من الملاءمة قاعدة يقوم عليها التفاعل اللغوي، فإن "سبربر" و"ولسن" جعلاها في مقدمة نظريتهما الاتصالية، (فالتبليغ بالنسبة إليهما يسعى إلى تغيير سياق التلفظ، وهذا يحصل خاصة بفضل الاستنباطات التي يقوم بها

المنارة للاستشارات
www.mar

المتلفظ المشارك)([21]) فعن طريق ما يحمله الملفوظ من معلومات جديدة وما يستنبطه المتلقي من أقوال مضمرة (Sous-entendus) يتغير السياق ويحدث التفاعل، وكلما تغير السياق حدثت الملاءمة بينه وبين الملفوظات، على أن تتميز المعلومات الجديدة بميزتين، أولاهما الجدة فلا تكون متكررة، وثانيتهما وجود علاقة بينها وبين المعلومات السالفة، فلا تكون منبتَّة.

قلنا سابقا إن قواعد التخاطب لا تمثّل مجرَّد قوانين على المتخاطبين احترامُها فحسب (بل تُمثّل ما ينتظرونه من مخاطبيهم، فهي مبادئ تأويل أكثر من كونها قواعد معياريَّة أو قواعد سلوك)([22])، ليتمَّ بهذا الشَّكل توظيف هاته القواعد من المتكلّم والمتلقي معاً، فالمتكلّم يوظّفها باحترامها والمتلقّي يوظّفها في التأويل حينما يخرق المتكلّم إحدى قواعدها. لذلك قد يبدو الملفوظ في ظاهره غير ملائم، لكن استنباطات المتلقي من شأنها استبيان تلك الملاءمة الغائبة، وإحداث التفاعل الخطابي المنشود. وهو ما نلمسه في الخطاب الشعري على وجه العموم، خاصة حينما يصوغ الشاعر نصه بطريقة يخرق بها قواعد التخاطب ويبقي فيه على قصدية خطابية توجه عملية الاستنباط عند المتلقي، تاركا للمتلفظ المشارك مهمة إعادة بناء الملفوظ عن طريق الاستنباط والتأويل.

وإذا كان غرايس قد صاغ قواعده أساسا بالنسبة إلى الخطابات اليومية والحوارات العادية فيحق لنا أن نتساءل عن كيفية استغلال المنهج التداولي في تحليل الخطاب لهذا المبدأ في النصوص الأدبية.

يدرج التداوليون قوانين التخاطب تحت مفهوم الكفاءات الخطابية ويسحبونها لتشمل جميع الخطابات، فلا تبقى حكرا على الحوارات اليومية كما توحي به بعض التسميات (قوانين الحوار مثلا) ولكنها (تخضع للتخصيص وفق أنواع الخطابات)([23]). ليكون بذلك التحليل التداولي للنصوص الأدبية قائما على ثنائية التعميم والتخصيص في آن معا.

المنارة للاستشارات
www.mar

أما "دومنيك منغينو" فيميز بين مبادئ الخطاب العامة وقوانين الخطاب الخاصة، ويلخص الأولى في ثلاثة مبادئ: مبدأ التعاون: Le principe de coopération كما صاغه "غرايس"، ومبدأ الملاءمة Le principe de pertinence كما صاغه "سبربر" و"ولسن"، ومبدأ الصدق Le principe de sincérité .

ويصنف القوانين الخاصة المتعلقة بمحتوى الخطاب إلى صنفين: قوانين تتعلق بمحتوى الخطاب: هي قانون الإخبار La loi d'informativité وقانون الاشتمال أو الاستيفاء La loi d'exhaustivité وقانون الجهة La loi de modalité([24]) وللإشارة فإن هذه القوانين اعتمد "منغينو" في كثير منها على ما ذكره "أوزوالد ديكرو" في كتابه "Dire et ne pas dire" وأيضا في مقال له بعنوان "قوانين الخطاب" في مجلة: Langue française([25])

وهناك نوع آخر من القوانين المتعلقة بالسلوك الاجتماعي وسلوك المتخاطبين([26])

أما "ديكرو" فقد حدد في الخطاب ثلاثة مستويات: المستوى المنطوق الذي يصرح به المتكلم بطريقة مباشرة، والمقتضى المتعلق بالافتراضات المسبقة والتي تستفاد من النص دون السياق. والمفهوم المتعلق بالمعاني المضمرة في الملفوظات، والتي تستفاد من النص والسياق معا.

تقوم قوانين الخطاب في جوهرها على صياغة جملة من القواعد التي يسعى المتخاطبون إلى احترامها وتحقيقها لأجل غاية هي إنجاح عملية التواصل وتحقيق التفاعل اللغوي بين المتخاطبين، وهي من أهم المفاهيم في تحليل الخطاب، كما أنه مفهوم واسع يستدعي الكثير من القضايا كالاستراتيجيات الخطابية والتداول على الكلام ومراعاة السياق مما يجعل الخطاب ليس مجرد حالة لفظ، ولكنه (عبارة عن اتجاه في مجرى الأحداث)([27]) ومتوالية من أحوال اللفظ، ينتفي معه تماثل المواقف في الزمان وإن اتفقت ملفوظاتها.

ولأن اهتمامنا في هذه البحث منصب على الخطاب الأدبي عموما وعلى الخطاب الشعري بوجه خاص، فسنقتصر من قوانين الخطاب على ما يخدم الخطاب الشعري وعلى التفاعل

المنارة للاستشارات
www.mar

الخطابي فيه والذي له خصوصياته التي تفرض طريقة تعامل خاصة. إذ (يمكن القول إن النص الأدبي يحترم من القواعد ما يبقي على تداوليته، ويخرق من القواعد ما يتيح جماليته) ([28]) ويمكننا اعتبار أطفال الحجارة - رغم أنهم المخاطب المباشر في المدونة- مجرد وسائط نحو مخاطب مشارك مؤهل هو القارئ العربي، الذي من أجله أنتج المتلفظ خطابه، دفعا به نحو المقاومة والتغيير والاعتبار بأبطال الانتفاضة، خاصة أن نزار قباني يعلن عن تواصلية خطابه صراحة إذ يقول: (أنا شاعر شديد الواقعية) ([29]) (بماذا أتكلم؟.. بالرمز؟.. هل أرمز إلى الأمور؟ أنا أعتقد أن حياتنا السياسية لا تحتمل الرمز.. والناس الذين نخاطبهم لا يحتملون الرمز، قضايانا واضحة، تخلفنا واضح، موتنا واضح، لذلك يجب أن نجابه الأمور كما هي) ([30]). ويفرض علينا هذا التصورَ للمتلفظ المشارك نوعُ الخطاب في حد ذاته، وعليه فإن (القواعد التداولية للمخاطبة الشعرية تقوم على التفاعل بين فعلين هما القراءة والكتابة، كما أن تحقق الكتابة فعليا يتعلق بجانبين هما: القول ومعرفة تشعباته وأوجهه واضرب استعماله، وتمكن براعة الشاعر في القدرة على افتراض غايات المخاطب وربطها بمقاصد القول التي تصلح لتلك الحالة) ([31]) ولذلك يتوجب علينا الحديث في هذا المستوى عن التفاعلات الخطابية والعقد بين المتخاطبين.

إن المشاركين في التلفظ - في تصورنا للمدونة - هما: المؤلف (الشاعر) والقراء من شباب العرب، وهذان الطرفان يدخلان بطريقة تلقائية في عقد ضمني يحقق نجاح التخاطب، يتعلق جانب من هذا العقد بالمتلفظ (الشاعر) الذي يبِين عن محتوى خطابه، وعن ماذا يتحدث؟ والشاعر هنا يتحدث -كما رأينا- عن نكسة العرب عموما وأبرزها محنة فلسطين، ويرسل إلى هؤلاء المرابطين من أطفال الحجارة تحية إجلال وإكبار، وأنهم ضحية آبائهم الذين انصرفوا إلى تفاهاتهم الدنيوية وانشغلوا بصغائر الأمور عن عظائمها.

ثم يلتفت إلى هؤلاء القراء داعيا إياهم إلى أخذ الدروس من هؤلاء الفتية، وأن يسلكوا سبيل النصر كما سلكوه، ويطهروا الأرض من جيل الخيانات والعمولات، ليلعب الشاعر دور

المنارة للاستشارات
www.mar

الموجه، المدرك لحقيقة الأمور، الفاحص لأمراض الأمة ومواطن الداء فيها، واصفا بعد ذلك العلاج، وهو ولا شك بعد مقامي يطابقه عقد التخاطب Contrat d'échange حسب "شارودو"([32]) والذي يتعلق بأستاذية الشاعر، والبعد الثاني اتصالي يطابقه عقد الكلام Contrat de parole تحدده طبيعة عقد الاتصال، فالأستاذ والخبير من حقه توجيه قرائه باعتبارهم تلاميذه، والذين من واجبهم فهمه وإدراك رسالته، ومن ثم تحقيقها. فالمتلفظ (الشاعر) عليه أن يكون في مستوى ما ينتظره منه القارئ (المتلفظ المشارك)، وعلى القارئ الإسهام في التفاعل بالاستجابة لما ينتظره المتلفظ، وهذا العقد هو في حد ذاته نوع من التعاون Coopération الذي تحدثنا عنه سابقا، ولا يفهم أبدا أن هذا التعاون نوع من التبادل Echange لتعلق التعاون بالعقد، أما التبادل فهو نوع من التفاعلات يخص الخطابات الحوارية، أما مدونتنا فهي أثر أدبي ليس من قبيل التبادل لعدم التداول على الكلام.

وتجدر الإشارة إلى أن ما سمح لنا بهذه النظرة للخطاب وللتفاعل الخطابي ولأطرافه المشاركة، ومن ثم ذلك العقد الذي دخلت فيه، هو اعتبارنا القصيدةَ متواليةً خطابية واحدة Séquence discursive فكل نص (مكوّن على الأقل من متوالية، أي وحدة نصية ذات مستوى أدنى من النص المنظور إليه في شموليته)([33])، كما يمكننا تصنيف مدونتنا على أنها متوالية وصفية مهيمنة، تندرج تحتها متوالية حجاجية، وبين المتواليتين مبادلات Transactions على درجة كبيرة من الانسجام الدلالي والتداولي.

خرق قوانين التخاطب:

يميز التداوليون بين ما يتم تبليغه عبر الوحدات اللسانية للنص وما يتم تبليغه بصفة ضمنية، خاصة في حالات اللبس التي تخرج الملفوظ عن المعنى المباشر إلى معان غير مباشرة. (وتكون حالة التعدد في المعنى بهذا الاعتبار مرتبطة بالالتباس الناجم عن أعراض الاستعمال، لا

المنارة للاستشارات
www.mar

بالالتباس الناجم عن أعراض اللغة)([34])، والشعر عموما خطاب قائم على هذا النوع من المعاني، التي يسميها "سيرل" أفعال الكلام غير المباشرة([35]) ويسميها "غرايس" الاستلزام الحواري (L'implicature conversationnelle)

يعتبر سيرل (أن مصدر الاستلزام هو الخرق المقصود لإحدى القواعد الأربع، مع احترام المبدأ العام مبدأ التعاون)([36]) وأن ما يترتب عن ذلك الخرق من معنى هو الاستلزام الحواري (L'implicature conversationnelle). وقد صاغها أساسا للخطاب العادي الذي يشترك فيه الباث والمتلقي في مقام واحد، إلا أن عدم اتفاق طرفي الخطاب الأدبي في نفس المقام لم يمنع بعض الدارسين أمثال "عبد السلام إسماعيلي علوي" من إعادة تقسيم لقواعد التخاطب بما يلائم هذه الخصيصة فجعل بعض القواعد (توجّه المرسل، وأخرى توجِّه المرسل إليه، وقواعد توجه التأويل)([37]) وأسماها:(قواعد توجيه التأويل)([38])

شروط وآليات التعرف على المعاني المترتبة عن خرق قوانين التخاطب:

إن الاستلزام التخاطبي كما أسلفنا يتعلق رأسا عند "غرايس" بخرق بعض قواعد التخاطب مع احترام مبدأ التعاون، مما يجعل معنى الملفوظ يخرج عن ظاهره اللغوي إلى معنى آخر تخاطبي يحدده المخاطب نتيجة تأويله للملفوظ، ولذلك يسمى معنى مستلزما في مقابل المعنى الوضعي.

وإدراك المعنى المستلزم يحتاج إلى شروط وآليات، فأما الشروط فهي كفاءات المخاطَب، وأما الآليات فهي التأويل القائم على تلك الكفاءات

إن التأويل عملية تجاوز للمعاني، وانتقال من معنى مباشر للخطاب إلى معنى غير مباشر، نأخذ فيه بقواعد التخاطب في الملفوظ الأدبي على اعتبار أن الباث يحاول أن يقيم معنا تواصلا وتفاعلا خطابيين، وأنه (قد خول لنفسه أن يقول ما لا يقصده، لأنه على علم بواقع معارفنا

المنارة للاستشارات
www.mar

المشتركة وعلى علم بأننا قادرون على اكتناه ما يقصد مما يقال، استنادا إلى تلك المعارف) ([39])، وهذه الافتراضات الذهنية هي الأساس في حدوث التفاعل الخطابي بين المتخاطبين. وهي أيضا التي تحافظ على وحدة تأويل الخطاب وليس مجرد مجموعة تأويلات لمجموعة من الملفوظات المكونة للخطاب، (وهذا يصدق خصوصا على الخطاب التخييلي) ([40])

ونظرا لقيام (تأويل الخطاب على نسبة مقصد إجمالي إلى قائله) ([41])، على اعتبار أننا (لا نتكلم لأجل لا شيء أو لأجل الكلام فقط، بل لأجل غايات وأهداف محددة) ([42]) فإن المخاطَب يقوم بإعادة بناءٍ للخطاب أثناء عملية التأويل، معتمدا على عناصر لسانية وأخرى خارج لسانية لا تخص مقام الإنتاج وحده، ولا مقام التلقي وحده، بل تخصهما معا، فتحضر بعض عناصر مقام التلقي في ذهن المخاطب اعتقادا وتقديرا، وتحضر بعض عناصر مقام الإنتاج وإن غابت وغاب معها الباث عن المخاطب، إلا أنه (يستعين على فهم وتأويل ما يوجه إليه من خطاب، بما يبنيه ويفترضه من مكونات مقام إنشاء ذلك الخطاب) ([43]) يقول طه عبد الرحمن: (إذا كان التكلم والاستماع لا ينفك أحدهما عن الآخر، وكان كل منهما يقاسم الآخر وظيفته التواصلية، فإن إنشاء مدلول القول في عملية التكلم، وتأويل هذا المدلول في عملية الاستماع، يتطلبان معا التوسل بسياقات مزدوجة، فسياق "الإنشاء" يحتوي نصيبا من سياق "التأويل" وسياق "التأويل" يحتوي نصيبا من سياق "الإنشاء" وعلى قدر هذا النصيب المشترك يكون التفاهم، حتى إذا عظم هذا النصيب واتسع اتساعا، ارتقى التفاهم إلى الفهم والتواصل إلى الوصال.) ([44]).

أما المؤشرات اللسانية فهي الانزياحات المترتبة عن المنافرة على حد تعبير "جان كوهن"، في إطار ما يسمى بالشعرية اللسانية، الأمر الذي تقوم معه الحاجة إلى التأويل، لإعادة تلك الملاءمة للملفوظ. واعتبر "كوهن" (أن الاستعارة [مثلا] تتدخل لأجل نفي الانزياح المترتب عن هذه المنافرة[...] والاستعارة خرق لقانون اللغة) ([45]) وفي الكناية مثلا لا يحدث تنافر

المنارة للاستشارات
www.mar

دلالي، ولكن عدم ملاءمة تداولية، كأن لا يلائم الملفوظ الموضوع، فيكون حينها المعنى المباشر صحيحا دلاليا، أما السياق فيحملنا على تأويل المعنى، مما يعني اشتغالنا على التلفظ لا على الملفوظ.

متضمنات القول في المدونة "قصيدة: أطفال الحجارة":

سنبدأ بمتضمنات القول، والمتضمنات نوعان : افتراضات مسبقة Présupposés وأقوال مضمرة Sous-entendus. يقول نزار قباني:

بهروا الدنيا..

وما في يدهم إلا الحجاره..

وأضاؤوا كالقناديلِ

وجاؤوا كالبشاره.

قاوموا..

وانفجروا..

واستشهدوا..

وبقينا دباً قطبيةً

صُفِّحت أجسادُها ضدَّ الحراره

يقتضي الملفوظ "بهروا الدنيا" أن الدنيا تعرف هؤلاء وأنها اندهشت لصنيعهم، وأنها قبل حين لم تكن لتعبأ بهم وبوجودهم، ثم إن من يبهر لا بد أن تتوفر لديه القدرة على فعل الصعب ولابد أن يكون عمله غير مألوف يصدم توقعات الناس وما ألفوه. إلى غير ذلك من الاقتضاءات التي اتخذها الشاعر وسيلة لشد انتباه القارئ وجعله يبحث عن المزيد من المعاني.

المنارة للاستشارات
www.mar

"قاوموا" يقتضي افتراضا مسبقا مفاده، "لقد اعتُدي عليهم"، وهنا على المتلقي مشاركة المتلفظ في هذا الافتراض كاتفاق غير معلن، وبمثابة الشرط للمفوظ لاحق، فإن زعم قارئ أنه لم يُعتدَ عليهم، انفصمت عرى الاتفاق ولم تعد هناك حاجة للاستمرار في تلك الوجهة، فيفشل حينها التواصل أو ينحو منحى آخر مختلفا تماما عن سابقه.

والفرق بين الأقوال المضمرة والافتراضات المسبقة هو حاجة الأولى إلى السياق إضافة إلى اللغة، فهي تداولية بامتياز، تعتمد استدلالا Raisonnement من طرف المتلفظ المشارك، كما تتعلق بقوانين الخطاب رأسا، لأنها تنتج عن خرق قاعدة من قواعد الخطاب، وأبرزها خرق قاعدة الملاءمة، في مثل القول السابق للشاعر.

كما توحي "قاوموا" بأقوال مضمرة من قبيل: لقد قاوموا بينما يفترض أن نقاوم نحن لا هم، لأنهم لا يزالون أطفالا مثل سائر أطفال العالم، يحلمون بالمرح والغناء والمدرسة، أو: لقد تحملوا عبئا لا يتحمله إلا الكبار وفعلوا ما عجز عنه الرجال. أو: قاوموا: فما أعظمهم، وعلينا أن نفخر بهم، فهم سلالة الأبطال وأحفاد الرجال، وأن لديهم من النخوة والإباء ما دفعهم -رغم صغرهم- إلى المقاومة، إلى غير ذلك من الأقوال المضمرة. وتخضع صحة هذه الاستدلالات إلى عنصري اللغة والسياق معا، ليصدقاها أو يطرحاها، كما تخضعها للمتلفظ ذاته سواء بتصريحه أو بالسياق اللغوي للخطاب ككل، إذ بإمكان ذلك تأكيد القول المضمر أو رفضه والاكتفاء بالمعنى الحقيقي للملفوظ.

حري بنا التنبيه إلى أننا لن نعمل على استقصاء جل الاقتضاءات فهو أمر عزيز المنال كما أن صفحات البحث لن تستوعب ذلك الإطناب، ولذلك سنقتصر على بعضها، مزاوجين بينها وبين المضمرات حتى يتكامل النوعان وتحصل الفائدة.

- أضاءوا كالقناديل وجاؤوا كالبشارة..

المنارة للاستشارات
www.mar

فيهما اقتضاء فحواه أن الحال قبلهم مظلمة تبعث على اليأس، إلى أن أنارت جوانبه هاته القناديل. والإضمار: أن المقاومة والثورة على الطغيان هي أمل الأمة وأن البقاء على الحال فيه موت الأمة واندثارها من الوجود، وهو استلزام خطابي ناتج عن خرق قاعدة الملاءمة وقاعدة الكم كلتيهما، فمع احترام الشاعر لمبدأ التعاون عمد إلى خرق هاتين القاعدتين، فعبر بالقناديل وضوئها وبالبشارة عن أطفال الحجارة وصنيعهم، فاخترق الملاءمة بينهما وأطنب في الوصف مما يدفعنا إلى البحث عن العلاقة التي تعيد للملفوظ تلاؤمه. عبر الشاعر عن تقييمه لهذه الانتفاضة وتوقيتها وأهميتها بالنسبة إلى عالم عربي هيمن عليه السكون والظلام حتى تملك القلوبَ قنوطٌ إلى درجة الوحشة، وكأن أوطان العرب مقابر لا تسمع أو ترى فيها شيئا ينبئ عن حياة، وهنا يتراءى إلى الشاعر قبس من نور وتنتهي إلى سمعه حركات من هناك تُبدِّد وحشته وتؤنس وحدته، إنها انتفاضة جيل جديد تزرع الأمل من جديد. وبهذه العلاقة تعود الملاءمة للخطاب وتدرك مقاصد المتكلم كما يفترضها السامع.

أما: قاوموا وانفجروا واستشهدوا. ففيها مراعاة من الباث لقواعد وقوانين التخاطب بشكل صريح، تاركا مهمة توسيع وإبراز ما قيل باللجوء إلى استدلالات مباشرة انطلاقا من مراعاة المتكلم للقواعد وهو ما يمكن أن نسميه (استلزاما نموذجيا) ([46])

وبقينا دببا قطبية

صفحت أجسادها ضد الحرارة

استلزام تخاطبي ناتج عن خرق قاعدتي الكم والملاءمة معا.

ويمكن أن نحدد في المدونة المستويات الثلاث في ملفوظ واحد، مثل:(فلدينا الرجال صاروا عجينا) ([47]) في قصيدة "الغاضبون"، فمنطوق الملفوظ أو الدلالة المباشرة له هي فقط وصف الرجال وأنهم صاروا عجينا، في حين أن المقتضى هو: أن العرب كانوا في ماضيهم رجالا وليسوا عجينا، وأنهم تحولوا من حال إلى حال، كما يُفيدُه فعل "صار" الذي هو من أفعال

المنارة للاستشارات
www.mar

التحويل، و(أنْ تفترض مسبقا محتوى ما، معناه طرح قبول هذا المحتوى كشرط لحوار لاحق) ((48)) أو على الأقل كشرط يحقق التواصل.

أما المفهوم: أنهم كانوا أقوياء، أعزة لا يضامون، وهم اليوم يفقدون صفات الرجولة، يسلمون أعناقهم طواعية لمن يركبها، لا هيبة لهم ولا نخوة، يرضون بحياة الذل، ويُفعل بهم كل شيء دونما ساكن يتحرك.

يرتبط المفهوم رأسا بمقاصد المتكلم، لأن (المفهوم يختلف باختلاف مقاصد المتكلم من الخطاب) ((49)) بناء على تأويل الملفوظ في علاقته بالسياق، ونحن نفترض هنا أنه كذلك شدَّ على أيدي أطفال الحجارة وبث للشجاعة في قلوبهم وفخر بصنيعهم من جهة، وتحريض لشباب العرب على تغيير الواقع المزري وزرع الرجولة في قلوبهم من جهة أخرى.

-كما أن التنكير الذي يدل عليه التنوين في:

وبقينا في مقاهينا..

كبصَّاق المحارة...

واحدٌ..

يبحثُ منّا عن تجارة.. واحدٌ...

(واحد يبحث...، واحد يطلب...، واحد يعمل..) ((50)) فيه تضمين من نوع آخر، فالنكرة من ألفاظ العموم، تفيد أن "واحد" بينه وبين الجماعة انفصال، ولو كان هناك اتصال بأمته لأضاف تخصيصا له (حسب مبدأ الكم) مثل "واحد منا"، لأن الجماعة وإن كانت على غير هدى فأفرادها في الضلالة متفقون، بينما توحي (واحد) بأنهم متشرذمون متفرقون، وانفصال "الواحد" عن الأمة يعني انفصاله عن الشاعر، فالشاعر يعبر باطراد عن انتمائه إلى الأمة العربية رغم جَلْده لها، لأنه لا يرفضها بل يرفض واقعها؛ (بقينا، قاتلوا عنا، مقاهينا، علمونا، فنحن

المنارة للاستشارات
www.mar

نسينا، بأن نكون، فلدينا، إذاعاتنا، نحن أهل الحساب، نحن موتى، قد صغرنا...)، وأيضا في: (تجارة، مليارا، زواجا، قصرٍ، عرشٍ، جيشٍ، إماره)، فيها تضمينات معمَّمة Généralisées نابعة من التنكير المعبر عن التعميم، هذه التضمينات مفادها أن تلك المسميات غير تابعة للمتكلم (وفقا للمبدأ التالي: أنه إذا كان باستطاعة المتكلم أن يكون أكثر تحديدا (أي أكثر إخبارا، حسب مبدأ الكم)) ([51]) لقال: عرشنا أو جيشنا، أو تجارتنا... ولكنه اختار التعميم لأنه يعتبرها لا تخصه ولا تخص أمته، وإنما تخص أصحابها اللاهثين وراءها فحسب، والذين عبر عنهم بـــ"واحد".

في حين نجده يضمِّن التبعية في ملفوظات أخرى مثل: (مقاهينا، جحورنا، كتاباتنا، جراحنا، قبحنا، قصائدنا). ولو قال قائل إن لفظة "واحد" هي تابعة لِـ "نا" في "بقينا في مقاهينا" ونابعة منها، كذكرٍ لبعض العينات من هؤلاء الباقين في المقاهي، لما استقام الأمر؛ لأن الباحث عن التجارة، وطالب المليار والزواج، والعرش والإمارة لا يعبر عنه بالبقاء في المقهى. إنما التنويع حادث على مستوى آخر؛ إنه بين الباقين؛ الجامدين، المتفرجين، الذين لا يقدمون ولا يؤخرون، وهم الشعوب، وبين الباحثين عن المفاتن شرقا وغربا، والجامعين الأموال، والباحثين عن الكراسي والمناصب، وهم الطبقة المتحكمة بمصائر تلك الشعوب، ولذلك نلمس الانفصال التام بين الشاعر والصنف الثاني، بينما نلمس انفصالا شعوريا بينه وبين الصنف الأول، ويبقى الاتصال على مستوى الانتماء الذي هو قدَرُ الشاعر.

صنف ثالث تتغير فيه المعادلة تماما، وتأخذ فيه العلاقة منحى آخر إنهم أطفال الحجارة، حيث تبرز التبعية ويتأكد الاتصال المزدوج؛ اتصال بحكم الانتماء، واتصال بحكم الواقع حيث الثورة والمقاومة؛ (يا أحباءنا الصغار)

المنارة للاستشارات
www.mar

نستطيع التعبير عن كل ذلك بهذا الشكل: (٧: انفصال، ٨: اتصال)

1)- الشاعر ٧ الطبقة الحاكمة

2) الشاعر ⟨ بحكم الانتماء ٨ (موجود بالقوة) ⟩ الشعوب العربية ⟨ بحكم الواقع ٧ (موجود بالفعل) ⟩

3) الشاعر ⟨ بحكم الانتماء ٨ (موجود بالقوة) ⟩ أطفال الحجارة ⟨ بحكم الواقع ٨ (موجود بالفعل) ⟩

وعليه فقد يكون التنكير مبني على أساس تداولي هو الشعور بالوحدة والاغتراب النفسي الناجم عن حالة الشتات والانكسار التي تعيشها الأمة العربية، فيقع التناقض والصراع، الحب والسخط معا، الغضب لها وفي ذات الوقت غضب عليها، كما عبرنا عنه في الشكل (2) بـــ (٨ و ٧ في الآن نفسه)، وقد رأينا انعكاس هذه الحالة على الشاعر المعاصر في الفصل الثاني([52])

أمرٌ آخر مهم ناتج عن تكسير مبدأ الكم دائما، هو أن الشاعر اكتفى بذكر انشغالات أصناف من قومه ولم يذكر اهتمامهم أو عدمه بقضية الانتفاضة، ولو كان لديهم اهتمام بها لذكره التزاما منه بمبدأ التعاون لأن انشغالاتهم تبقى أعمالا مشروعة، وكل الناس شرقا وغربا يتاجرون ويبنون ويتزوجون، ولكن انحصار وظيفتهم فيها واقتصارهم عليها هو الخيانة التي يرفضها الشاعر، لنفهم من خلال خرق مبدأ الكم أن انشغال هؤلاء بأموالهم وتجارتهم وملذاتهم إنما هو

المنارة للاستشارات
www.mar

على حساب قضايا أمتهم. وهذا النوع من الخرق لقاعدة الكم تضمين معمم لا نحتاج فيه إلى معرفة خاصة بالسياق لحساب المعنى الإضافي.

وآه...يا جيل الخيانات، ويا جيلَ النفاياتِ، ويا جيلَ العمولات(...) سوفَ يجتاحُكَ -مهما أبطأَ التاريخُ- أطفالُ الحجاره..

إن أول خرق يطفو على السطح هو خرق قاعدة الكم، عبر كثرة المعطوفات في الملفوظ، والذي يستلزم تأكيد المعاني السلبية، وأن هؤلاء هم سبب ضياع فلسطين مما دفع بأطفال صغار أن يُبْدلوا ساحات اللعب بميادين القتال، وقطف الزهور بالتقاط الحجارة.

ويتبع النداء بإخبار: (سوف يجتاحك ...)

يقتضي الملفوظ من جملة ما يقتضيه أن سوء عاقبة هؤلاء الخونة لم تحن بعد، ولكنها آتية لا محالة، وأن أطفال الحجارة قادمون. وتفيدنا الكفاءة التداولية بأنه يخرج عن الإخبار إلى التحذير والتهديد، وهنا استلزام ناتج عن خرق قاعدة الكم، فبدل أن يقول الشاعر "احذَر"، اختار ملفوظا آخر يستفيض فيه في التعريف بفحوى التحذير.

في الملفوظ كذلك خرق لقاعدة الملاءمة من زاويتين؛ أولاهما في ملاءمة الاجتياح لأطفال الحجارة، فالجوح لغة هو (الاستئصال، من الاجتياح. جاحتهم السنة جوحا وجياحة وأجاحتهم واجتاحتهم: استأصلت أموالهم، وهي تجوحهم جوحا وجياحة)([53])، والثانية في وجه الملاءمة أو العلاقة المباشرة بين انتفاضة أطفال فلسطين وهؤلاء العرب الغارقين في دنياهم وغرائزهم.

وحدها هي الكفاءة التداولية التي تقوم بتفسير هذا الخرق وعدم الملاءمة السياقية وإعادة التلاؤم للملفوظ، حينما يحال المخاطَب الملفوظ على أساس علاقات يستفيدها من التلفظ لا من الملفوظ، وارتأينا أن يكون تأويلنا مثلا على الوجه الآتي:

المنارة للاستشارات
www.mar

- هذا الجيل من العرب منصرف عن قضايا أمته إلى مصالحه الضيقة.

- كان أطفال الحجارة العنصر المعدوم في معادلة قوى العالم.

- لكنهم فاجأوا الجميع ببركان ثوري هز أرجاء المعمورة.

- أصبح هؤلاء الفتية رمزا لما تصنعه إرادة الضعيف بكيان الاستبداد.

- والشعوب العربية وقادتها من ذوي السلطان والمال لا تقدم ولا تؤخر.

- لكن جيلا قادما من هذه الشعوب سوف يقتدي بأطفال الحجارة في ثورته على الظلم وإرادته في التغيير وسوف يحذو حذوهم.

- سوف يثور أطفال العرب على الاستبداد في كل بلاد العرب.

- وسوف يزيلون هؤلاء الخائنين ويستأصلونهم من جذورهم.

- والفضل في هذا الاجتياح لمـــــُـــلهم الثورة ورمزها "أطفال الحجارة"

ويظهر هنا مبدأ هام ارتكزنا عليه في تأويلنا، وهو مبدأ الاستدلال (الذي يسعف في استنباط المعنى الفرعي من المعنى الأصلي)([54]) والذي يعتمد بدوره على الكفاءة التداولية للمؤوِّل.

الهوامش:

1 - سيرفوني جان، الملفوظيّة، تر: قاسم المقداد، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، 1998، ص102.

2 - ينظر: حمداوي جميل، المقاربة التداولية في الأدب والنقد، 6 يناير 2012 www.diwanalarab.com

3 - موقع بلخير عمر omarbelkheir.wordpress.com بتاريخ: 2013/05/21

4 - هلبش جرهارد، تطوّر علم اللغة منذ 1970م، تر: سعيد حسن بحيري ، مكتبة زهراء الشّرق، القاهرة، مصر، ط1، 2007، ص321.

5 - إسماعيلي علوي حافظ، التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2011، ص4.

المنارة للاستشارات
www.mar

6 - ينظر: الطائي معن، التداولية والنظرية النقدية، www.startimes.com بتاريخ: 2013/03/11

7 - ينظر: نفس المرجع.

8- Orecchioni. C.K, L'énonciation, Armond Colin, Paris, 3éd, 2006, p30.

9 - حمداوي جميل، المقاربة التداولية في الأدب والنقد، م.س

10 - منغينو دومنيك، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2005، ص9.

11 - وضده حواري Dialogique (وليس Dialogal الذي يعني تعدد المتكلمين) ويستعمل مصطلح Dialogique أيضا للخطابات الموجهة إلى الذات الشخصية ينظر: Charaudeau.P et Maingueneau.D, Dictionnaire d'analyse du discours, Seuil, Paris, 1éd, 2002, p179.

12 - منغينو دومنيك، م.س، ص10.

13 - Voir : Maingueneau.D, Pragmatique pour le discours littéraire, NATHAN, Paris, 2éd, 2001, p101

14 - مثل مبادئ التأدب لروبين لاكوف، ومبادئ الوجه لبراون وليفنسون، ومبادئ التأدب الأقصى لليتش. ينظر: عبد الرحمن طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 1998، ص238، والشّهري عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيّات الخطاب مقاربة لغويّة تداوليّة، دار الكتاب الجديدة المتّحدة، بيروت، ط1، 2004، ص 100.

15 - ينظر منغينو دومنيك، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص75.

16 - Voir: Ducrot.O, Le dire et le dit, éd de Minuit, 1984, p25-33

17 - سرحان إدريس، التأويل الدلالي-التداولي للملفوظات وأنواع الكفايات المطلوبة في المؤول، التداوليات علم استعمال اللغة، تنسيق وتقديم، حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2011، ص163.

18 - فليب بلانشيه، التّداوليَّة من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنّشر والتّوزيع ، سوريا، ط1، 2007، ص85. و ينظر: مسعود صحراوي، التّداوليَّة عند العلماء العرب، ص33-34.

19 - آن روبول، وجاك موشلر، التَّدَاوليَّة اليوم، علمٌ جديد في التَّواصُل، تر: سيف الدّين دغفوس ومحمّد الشيباني، دار الطَّليعة للطّباعة والنَّشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص57.

20 - شيتر رحيمة، تداولية النص الشعري جمهرة أشعار العرب نموذجا، أطروحة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008-2009، ص145.

21 - منغينو دومنيك، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص86.

22 - روبول آن، وموشلر جاك، م س، ص57.

23 - منغينو دومنيك، م.س، ص76.

24 - نفس المصدر، ص75.

25- voir: O.Ducrot, Les lois de discours, magazine: Langue française. N°42, 1979. La pragmatique p21-33.

26- D.Maingueneau, Pragmatique pour le discours littéraire, p111.

27 - دايك فان، النصّ والسّياق، استقصاء البحث في الخطـاب الدّلالي والتّداولي، تر: عبد القادر قينيني، دار إفريقيا الشّرق، المغرب، ط1، 2001، ص258.

المنارة للاستشارات
www.mar

28 - شيتر رحيمة، م س، ص142.

29 - جهاد فاضل، فتافيت شاعر، وقائع معركة مع نزار قباني، دار الشروق، بيروت، ط1، 1989، ص26

30 - نفس المرجع، ص30-31.

31 - شيتر رحيمة، م س، ص145.

32 - ينظر: منغينو دومنيك، م.س، ص29.

33 - نفس المصدر، ص107.

34 - عبد السلام إسماعيلي علوي، تداوليات التأويل، ص210.

35 - الأفعال الكلامية نوعان: فعل كلامي مباشر وفعل كلامي غير مباشر، فكلما (وجدت علاقة مباشرة بين البنية والوظيفة نحصل على فعل كلام مباشر، بينما كلما وجدت علاقة غير مباشرة بين البنية والوظيفة نحصل على فعل كلام غير مباشر. ينظر: جورج يول، التداولية، تر: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2010، ص92.

36 - احمد المتوكل، الاستلزام التخاطبي بين البلاغة العربية والتداوليات الحديثة، التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2011، ص295.

37 - عبد السلام إسماعيلي علوي، م.س، ص234-237.

38 - نفس المرجع، ص236.

39 - نفس المرجع ، ص215.

40 - جاك موشلار وآن روبول، التداولية اليوم، ص206.

41 - نفس المرجع، ص217.

42- O.Ducrot, Dire et ne pas dire, p8.

43 - إدريس سرحان، التأويل الدلالي-التداولي للملفوظات وأنواع الكفايات المطلوبة في المؤول، ص153-154.

44 - طه عبد الرحمن، التواصل والحجاج، مطبعة المعارف الجديدة، د.ط، 1993، الرباط، ص17.

45 - جان كوهن، بنية اللغة الشعرية، تر: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 1986، ص109.

46 - العياشي أدراوي، م.س، ص 113.

47 - نزار قباني، ثلاثية أطفال الحجارة، ص27.

48 - دومنيك منغينو، م.س، ص97.

49- O.Ducrot, Le dire et le dit, éd de Minuit, 1984, P25-33.

50 - نزار قباني، ثلاثية أطفال الحجارة، ص20، 22.

51 - جورج يول، التداولية، ص 72.

52 - ينظر عنصر التشكيلية الخطابية والتوقع في الفصل الثاني من هذا البحث.

53 - ابن منظور، لسان العرب، مادة: جوَحَ.

54 - العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص 62.

المنارة للاستشارات
www.mar

المنارة للاستشارات
www.mar